

إعجاز القرآن في الوحدة الموضوعية للسورة نظرات في كتاب "النبأ العظيم" لعبد الله دراز

خاتي كمال¹

¹ جامعة الجزائر 1، الجزائر العاصمة
chikhabdelghafour@gmail.com

استلم: 2026-07-18، مقبول: 2026-07-23، نشر: 2026-07-29

The miraculous nature of the Quran due to the thematic unity of its chapters: Reflections on the book "An nabaa' El Adhim" by Abdullah Daraz

ABSTRACT: This article examines the thematic unity of the surah in the Qur'an and demonstrates one aspect of the Qur'an's miraculous nature in this regard, as presented by Professor 'Abd Allah Darraz in his distinguished work *The Great Tidings (Al-Naba' al-'Azim)*.

Darraz advanced significant observations on this subject, drawing attention to the fact that a single surah may encompass multiple themes and diverse meanings within its verses, while some of its passages may have been revealed at intervals separated by considerable periods of time in accordance with particular events and circumstances. Yet, despite the gradual revelation of the Qur'an over a span of twenty-three years, none of this affected the overarching theme of any individual surah, nor did it impair the Qur'an's wondrous and miraculous arrangement. Such a phenomenon is never found in the speech of even the most eloquent Arab orators or in the compositions of their poets, where one often encounters a lack of harmony between meanings and a disjunction in structure that is perceptible to both the ear and the intellect.

To illustrate this phenomenon, Darraz presents an example from Surat al-Baqarah, the longest surah in the Qur'an, and elaborates upon it at length. The present study highlights some aspects of this discussion.

KEYWORDS: thematic unity of the surah; i'jaz; Qur'an; Darraz; reflections.

الملخص: هذا المقال يتحدث عن الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن، ويبين وجه إعجاز القرآن في ذلك، على ما يعرضه الأستاذ عبد الله دراز في كتابه القيم "النبأ العظيم". فقد لاحظت له أفكار في ذلك كتنبهه إلى أن السورة الواحدة قد تتعدد أغراضها وتنوع معاني آيها، ويتباعد نزول بعضها عن سابقها حسب الوقائع والمستجدات. وبالرغم من نزول القرآن منجماً طيلة ثلاث وعشرين سنة، كل ذلك لم يؤثر في الموضوع العام للسورة الواحدة ولم يخلّ بنظم القرآن البديع المعجز، وهذا ما لا يتحقق أبداً في كلام الفصحاء ونظم الشعراء من العرب، إذ يظهر فيه تناكر المعاني وتنافر المباني في الأسماع والأفهام، وقد عرض عبد الله دراز نموذجاً على ذلك، في أطول سورة من القرآن وهي سورة البقرة، وأطال النفس في ذلك، وسيظهر جانباً من ذلك فيما يأتي من البحث.

الكلمات المفتاحية: وحدة السورة، الإعجاز، القرآن، دراز، نظرات

مقدمة

لقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم رحمة للعالمين، وأودع فيه من المعاني والأسرار ما يُبقي معجزته خالدةً إلى يوم الدين. وهذه المعاني والأسرار تظهر في كل سورة من سورته بصورة واسعة لمن استظهر الوحدة الموضوعية لهذه السورة، أو المحور الأساس الذي تصدر عنه العناصر الجزئية أو الموضوعات التي تخدم هذا الموضوع العام.

و من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم منجّما طيلة ثلاث وعشرين سنة، كل نزول لآيات يناسب أحداثا و وقائع معينة. و من الآيات والصور ما نزل قبل الهجرة وهو المعروف عند جماهير العلماء بالقرآن المكي، ومنه ما نزل بعدها وهو ما يعرف بالقرآن المدني، وكان النبي صلى الله عليه وسلم - بتوقيف من جبريل عليه السلام - يأمر كُتّاب الوحي بجعلها في مواضع دون مراعاة الترتيب الزمني لها، وهذا ما يفسّر وجود بعض الآيات المكية بجانب الآيات المدنية والعكس في السورة الواحدة لما اكتمل نزول القرآن، وتحدّدت سورته. وبالرغم من هذا الفاصل الزمني من نزول الآيات، وهذا الامتزاج بين القرآن المكي والقرآن المدني في السورة الواحدة، فإننا لا نجد تنافرا و لا اختلافا بين هذه الآيات، وهذا ما لا يتأتى في كلام غير الله عز وجل، ولذلك وقف العرب عاجزين منبهرين لنظمه وبلاغته: { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا }⁽¹⁾. وقد اهتم العلماء منذ القديم بتحديد الوحدة الموضوعية للسورة - أو المحور الرئيس لها، لما في ذلك من فوائد عديدة في فهم معاني آياتها والوقوف على أحكامها المتنوعة في العقيدة والفقه وغيرها من أمور الدين و لطائف الإعجاز. حتى إنّ بعضهم نبّه إلى أهمية هذا الموضوع في مؤلف خاص، وأبرزهم في ذلك برهان الدين البقاعي(ت: 885هـ) في كتابيه " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور "، و " نظم الدرر في تناسب

1 النساء: 82. يقول ابن جرير الطبري في تفسيره الآية: " أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم، يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لا يساق معانيه، وانتلاف أحكامه، و تأييد بعضه بعضا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض ". (الطبري، 1424هـ - 2003م، صفحة 251)

الآيات والسور". (رشيد، 1428هـ، الصفحات 164-165) (الخضيري، 1431هـ، الصفحات 87-88) لكن أكثرهم لم يجعله من صلب التفسير، بل أضحي لديهم بما يعرف بمُلح العلم، ولم يُوظَّف بشكل كاف بما يكشف عن المعاني الدقيقة لهذه الآيات استصحابا للوحدة الموضوعية للسورة أو الغرض الرئيس لها، وبيان الصلة أو الارتباط بين الآيات وفق هذه الوحدة. (رشيد، 1428هـ، صفحة 157)

وفي هذا العصر ظهرت جهود طيبة لبعض الباحثين والمفسرين تبين أهمية الوقوف على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، منهم الأستاذ عبد الله دراز في كتابه " النبا العظيم"، و سيد قطب في تفسيره " في ظلال القرآن"، وسعيد حوى في كتابه " الأساس في التفسير". فهذا البحث جاء إشارة إلى جهود هؤلاء العلماء المتقدمين والمعاصرين، وكذا بيان طرق الاهتداء إلى الوحدة الموضوعية للسورة، ومدى الاستفادة منها في بيان معاني آي السور، ثم شفعت ذلك بأمثلة تطبيقية من نظرات الأستاذ عبد الله دراز فيما يتعلق بالوحدة لسورة البقرة وذلك في كتابه الموسوم بـ " النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن" فهو بمثابة مثال تطبيقي في تحديد الوحدة الموضوعية للسورة وأهمية الوقوف عندها التفسير⁽¹⁾.

أهمية البحث:

البحث ذو أهمية كبيرة إذ يتعلق بتفسير آي القرآن و بيان معانيها، وذلك بربطها بموضوعها الرئيس، فتحدد بذلك الروابط والمناسبات بينها وتتكامل موضوعاتها الجزئية لتؤدي غرض السورة الرئيس.

و في البحث أجوبة عن بعض ما يثيره الطاعنون في نظم القرآن، وبخاصة مسألة التكرار في القصص القرآني، وذلك أنّ اختلاف الوحدة الموضوعية للسور أو مقاصدها العامة يؤدي إلى تغيير نُظوم القصص وألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على تلك المقاصد.

1 وقد اعتبر الشيخ محمد الغزالي الأستاذ عبد الله دراز أول من فسر سورة مستصحبها الوحدة الموضوعية لها، وذلك في أطول سورة من القرآن - أي البقرة. (الغزالي، 1420هـ-2000م، صفحة 5)

كما أنّ التكرار في القصص القرآني إنما يأتي لهدف مقصود، هو التنوع في الدلالات، وذلك يتحدد من سياق الآيات، و من الأسلوب⁽¹⁾.

إشكالية البحث

معلوم أنّ علم المناسبات بين آيات السور، وذكر أسرار ارتباطها من جهة المعنى والنظم، قد أشار إليه العلماء والمفسرين منذ القديم بما يكفي للدلالة على أهميته. إلا أنّ الوحدة الموضوعية للسورة أو ما يعرف بوحدة النسق في السورة الموضوعية لم يُشر إليها بشكل كاف إلا مع المفسرين والباحثين المتأخرين كالأستاذ عبد الله دراز وسيد قطب وغيرهما.

والإشكال الذي يرد هو : ما الفائدة من تحديد الوحدة الموضوعية للسورة في تفسير آيها، ومدى الوقوف على اللطائف الإعجازية التي تتضمنها؟
ويتفرع على هذا السؤال أسئلة فرعية هي:

- 1 - فيم يتجلى إعجاز القرآن الكريم بالنظر إلى الوحدة الموضوعية للسورة؟
- 2 - يعتبر الأستاذ عبد الله دراز من الرواد الذين كتبوا في بيان روعة النظم القرآني وإعجازه بالنظر إلى الوحدة الموضوعية للسورة، وذلك في كتابه " النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن ".
فأين تتجلى هذه النظرات من كتابه هذا؟ وما هي شواهد فيما اختاره نموذجا من سورة البقرة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى بيان أهمية تحديد الوحدة الموضوعية للسورة قبل الشروع في تفسير آيها، وكيف يساهم ذلك في الربط بين موضوعاتها الفرعية، والوقوف على أسرار الإعجاز للسورة، ولطائف المعاني.

وكذا التنبيه إلى بعض جهود العلماء والمفسرين لا سيما المعاصرين منهم في تجلية هذا الموضوع، وعرض أمثلة تطبيقية في بيان ذلك كله، لا سيما ما يستعرضه الأستاذ عبد الله دراز من نظراته للوحدة الموضوعية لسورة البقرة.

1 سيأتي كلام البقاعي ومحمد قطب موثقا في ذلك.

المنهج المتبع لإنجاز البحث:

لقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي، لما يقتضيه هذا الموضوع من جمع أقوال العلماء والباحثين منبّهين إلى ضرورة معرفة الوحدة الموضوعية لسور القرآن، وكيفية الاستفادة من ذلك في تفسير أي السور، وإيجاد المناسبات بينها من خلال استصحاب الموضوع الرئيس لكل سورة. وكذا تحليل أقوالهم في ذلك، مع ذكر ما يناسب ذلك من الأمثلة التطبيقية.

1- إعجاز القرآن بالنظر إلى الوحدة الموضوعية للسور

أولا - معنى الوحدة الموضوعية للسورة

يحدد الدكتور رفعت فوزي هذا المعنى بقوله: "موضوع واحد تدور حوله السورة، وتتشكل موضوعاتها الجزئية بجوهر هذا الموضوع، وتسهم في جوانبه ومجالاته ليؤدي كل منها إلى غاية واحدة وهدف واحد هي غاية هذا الموضوع الواحد وهدفه الذي تدور حوله السورة القرآنية". (عبدالمطلب، 1982، صفحة 11)

و يطلق الشيخ محمد الغزالي على الوحدة الموضوعية للسورة مصطلح التفسير الموضوعي ويقول في تعريفه: "يتناول السورة كلها، يحاول رسم "صورة شمسية" لها، تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، و تجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها". (الغزالي، 1420هـ-2000م، صفحة 5)

و لا يعني من تعدد موضوعات السورة أن كل سور القرآن كذلك، بل هذا على الغالب، وإلا فإن قصار السور أكثرها يتناول موضوعا واحدا. (رشيد، 1428هـ، صفحة 140)

و بالنظر في التعريفين السابقين تبين أهمية تحديد الموضوع الرئيس للسورة، إذ عليه تنبثق موضوعاتها الجزئية، وقد نبّه بعض العلماء إلى خطأ من يكتفي بالكشف عن الروابط بين الآيات المتجاورة من السورة و يغفل عن الغرض الرئيس لها الذي بمعرفته تتحدد تلك الروابط.

يقول الميداني: "ولدى البحث الدقيق المُعمّق نلاحظ أن السورة القرآنية تشتمل على وحدات معانٍ متماسكة تشبه حلقات مترابطات، مشمولات بحلقة أكبر منها، وهي داخلة فيها و متعلقة

بها، ولا يشترط في كل حلقة موجودة على مسير خط النص أن تكون مرتبطة بالتي قبلها مباشرة، كما نعرف في حلقات السلسلة التي هي كالجبل، بل قد يكون الارتباط مباشرة بالحلقة الكبرى التي هي أساس الموضوع، أو بحلقة دونها قد سبقت، وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات". (الميداني، 1430هـ- 2009م، صفحة 28)

ويقول الأستاذ عبد الله دراز: " السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني ⁽¹⁾ تقتضي بأن يكون

هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدّم الناظر إلى البحث في الصلات الموضوعية بين كل جزء جزء منه - وهي تلك الصلات الماثوثة في مثاني الآيات و مطلعها ومقاطعها - إلا بعد أن يُحكم النظر في السورة كلها، بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها على وجه يكون معوّناً له على السير في تلك التفاصيل على بينة". (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 159)

كما نقل الأستاذ دراز كلاماً نسبته إلى الإمام أبي إسحاق الشاطبي (رشيد، 1428هـ، الصفحات 182- 193) (عبدالمطلب، 1982، صفحة 15) (عميراوي، 2022م، صفحة 31) يصوّر فيه معنى الوحدة الموضوعية للسورة و مُنبّها لأهمية الوقوف عليه- : " إنّ السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وإنه لاغنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"⁽²⁾. (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 159)

1 هذا تعبير آخر الوحدة الموضوعية للسورة.

2 ثم ضرب الأستاذ دراز مثالا في غاية الروعة في ذلك - لم أجد من سبقه إليه - فقد شبّه من يُجهد فكره لفهم قضية جزئية للسورة و يكتفي بربطها بقضية أو قضيتين مجاورتين لها في السورة - بمنأى عن الغرض العام الذي وضعت عليه للسورة - بامرئٍ عُرضت عليه حُلّةٌ مُوشيةٌ دقيقةٌ الوُشي ليتأمل نقوشها فجعل ينظر فيها خيطاً خيطاً و رُقعةً رُقعةً ، فلم يجد فيها من حسن الجوار بين اللون واللون ما يَرُوقُهُ و يُونِقُهُ ، حتى إذا ألقى على الحَلّة كلها نظرة جامعة تنتظم أطرافها وأوساطها بدا له من تناسق أشكالها ودقة صنعها ما هو أبهى وأبهر . قال : " فكَذلك ينبغي أن يصنع الناظر في تدبره لنظم السورة من سور القرآن " . (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 158-159)

ثانيا - فوائد الوقوف على الوحدة الموضوعية للسورة:

ذكر الباحثون في ذلك فوائد علمية وتربوية متنوعة منها:

أ - إن الوصول إلى موضوع السورة العام يعين على معرفة وجه الارتباط بين موضوعاتها الجزئية بشكل يُظهر أنها تسير كلها وفق غاية واحدة، مما يعين على تفسير السورة بشكل أعمق وأدق.

أمّا تفسير السورة آية آية دون استحضار المعنى العام لها، فإنه قد يُفوّت جملة من الهدايات ولطائف إعجاز القرآن، وفي هذا يقول الأستاذ دراز: "وبهذا تعرف مبدأ الخطأ الذي يتعرض له الناظرون في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاوزة، غاضين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها: فكّم يجلب هذا النظر القاصر لصاحبه من جور عن القصد؟ وكّم ينأى به عن أروع نواحي الجمال في النظم". (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 158-159)

ب - ومن فوائد استحضار الوحدة الموضوعية للسورة عند تفسيرها، الاهتمام إلى أسرار تكرار القصص القرآني واختلاف تعبير الآيات في ذلك.

يقول الإمام برهان الدين البقاعي (ت: 885هـ): "و لأجل اختلاف مقاصد السور، تتغير نُظُوم القصص و ألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد". (البقاعي، 1408هـ - 1987م، صفحة 152)

و مثل لذلك بقصة مريم و زكريا عليهما السلام، فذكر أن هذه القصة جاءت مكرّرة في سورتي آل عمران و مريم، لكن لما كانت الوحدة الموضوعية في آل عمران يحوم حول التوحيد لله، اقتضى نظم السورة ما يناسب هذا المقصد العام من مجيء لفظ الجلالة (الله) المتضمن للعبودية مكررا في عدة مواضع، في حين جاء في سورة مريم لفظ (الرب) الدال على الربوبية والعناية والرحمة، وكذا مجئ اسم (الرحمن) فيها، وذلك أن مقصود السورة هو شمول رحمته عز وجل. كما ذكر أمورا أخرى كالتغاير في كيفية افتتاح و اختتام القصة في كل سورة من السورتين و السر في ذلك .

يقول البقاعي : " بعد أن افتتح السورة [يعني مريم] بذكر الرحمة لعبدٍ من خُلص العباد، وختمها بأن كل من كان في نهجه في الخضوع لله يجعل له وُدًا، وأنه سبحانه يسر هذا الذكر بلسان أحسن الناس خُلُقًا و خُلُقًا، وأجملهم كلامًا و أحلاهم نطقًا. وكرّر الوصف بالرحمن و ما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى في أثناء السورة تكريرا يلائم مقصودها و يثبت قاعدتها و عمودها". (البقاعي، 1408هـ- 1987م، الصفحات 152-153)

ونظرا لولوج الطاعنين في إعجاز القرآن من المستشرقين لباب التكرار في قصص القرآن، فقد انبرى للردّ على شبهاتهم طائفة من المفسرين المعاصرين كسيد قطب، وسعيد حوى مستصحبين الوحدة الموضوعية للسورة في توجيه أسرار هذا التكرار⁽¹⁾. وقد ذكر الأستاذ محمد قطب أنّ التكرار في القصص القرآني لا يأتي اعتباطا، وإنما يأتي لهدف مقصود، هو التنوع في الدلالات، وذلك يتحدد من سياق الآيات، و من الأسلوب. (قطب، 1414هـ- 1993م، الصفحات 253 – 255)

ج - ومن فوائد الوقوف على الوحدة الموضوعية للسورة إثبات إعجاز القرآن، ويظهر ذلك - كما سبقت الإشارة إليه في المقدمة - أنّ القرآن الكريم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا طيلة ثلاث وعشرين سنة، وكان نزوله ليس كترتيب السور والآيات - كما هو الآن في المصحف - وبالرغم من ذلك لا نجد تنافرا أو اختلالا في موضوع السورة العام و موضوعاتها الجزئية، أضف إلى ذلك وجود آيات مدنية بجانب سور مدنية وبالعكس.

د - إن استظهار الوحدة الموضوعية للسورة قبل تفسير هو آيها أقرب لتحقيق الغاية التي أنزل من أجلها القرآن، تيسيرا للهداية، و دون شرود الذهن وتشتته بمباحث جانبية.

1 ينظر في ذلك مثالا نقله رشيد الحمداني عن سعيد حوى في كتابه أساس التفسير فيما يتعلق بقصة آدم في البقرة والأعراف .
(الحمداني، 1428هـ، صفحة 191)

ثالثا: تجليات إعجاز القرآن الكريم من الوحدة الموضوعية للسورة

لقد أفاض العلماء في بيان إعجاز القرآن بالنظر إلى مقاصد السور، فكل سورة تحيط بجملة من الآيات ذات المعاني المتنوعة، و تجمعها ضمن غرض واحد أو مقصد رئيس، و هذا المقصد يتوصل إليه بالنظر في الرابط المشترك بين هذه الآيات، والمناسبة بين مطالع السور و خواتمها التي هي بمثابة الحدود لهذه الآيات. وقد دعا الله عز وجل العرب إلى تدبر كلامه، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك، بالرغم مما أوتوا من فصاحة اللسان واقتدار على قرض الشعر ونظم القوافي، والوقوف على عيوب الكلام نثرا و شعرا. لكنهم عجزوا عن ذلك و وقفوا مشدوهين أمام هذه البلاغة التي جاءهم بها القرآن والتي لا قبل لهم بها. و جرى لدى العرب، أن أحدهم قد ينظم قصيدة، فيبقى ينظر فيها أعواما و يعدل ما يظهر له فيها من خلل و عيوب، وهذا ما يعرف لديهم بالحوليات، كحوليات زهير بن أبي سلمى.

ومن العلماء المعاصرين الذين أفادوا في بيان إعجاز القرآن بالنظر إلى وحدة الموضوعية للقرآن الأستاذ عبد الله دراز. و من المناسب عرض جوانب من تأملاته الدقيقة في ذلك. فذكر أن السورة الواحدة قد تتعدد أغراضها وتنوع معاني الآيات فيها، و يتباعد نزول بعضها عن سابقتها، وذلك حسب الوقائع و الدواعي المتجددة ، فقد ينتقل الكلام في السورة من وصف إلى قصص، إلى تشريع، إلى جدل، وإلى غيرها .

فهذا الانفصال الزمني بين نزول الآيات من نفس السورة، والاختلاف الذاتي بين دواعيها، لم يؤثر في وحدة الكلام، أو الموضوع العام للسورة الواحدة. (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 145) و وجه الإعجاز القرآني، أننا لو أتينا بأحاديث من شئنا من البلغاء قالوها في أوقات مختلفة وتناولت أغراضا مختلفة، ثم سردناها لنجعلها حديثا واحدا لكانت النتيجة كما قال دراز: " انظر كيف تتناكر معانيها و تتنافر مبانيها في الأسماع والأفهام، وكيف يبدو عليها من الترقيع والتلفيق و المفارقة ما لا يبدو على القول الواحد المسترسل ! " . (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 145-146)

ويوضح الأستاذ دراز ذلك أكثر بقوله: " فالشعراء حينما يجيئون في القصيدة الواحدة بمعان عدة، أكثر ما يجيئون بها أشتاتا لا يلوي بعضها على بعض . و قليلا ما يهتدون إلى حسن

التخلص من الغرض إلى الغرض، كما في الانتقال من النسيب⁽¹⁾ إلى المدح .

والكتاب ربما استعانوا على سدّ تلك الثغرات باستعمال أدوات التنبيه أو الحديث عن النفس، كقولهم : ألا وإن .. هذا ولكن، بقي علينا، ولننتقل .. نعود، قلنا و سنقول: هذا شأن الأغراض المختلفة إذا تناولها الكلام الواحد في المجلس الواحد، فكيف لو قد جيء بها في ظروف مختلفة وأزمان متطاولة ؟ ألا تكون الصلة فيها أشدّ انقطاعا و الهوة بينها أعظم اتساعا ؟ " . (دراز،

1405هـ - 1985م، الصفحات 143-144)

* وأمرٌ ثالثٌ يذكره المؤلف، وهو نزول القرآن منجّماً؛ فكما هو معلوم فإن ترتيب الآيات القرآنية حسب التدرّج الزمني لنزولها يختلف مع ترتيبها كما هو بين دفتي المصحف، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتّب الآيات ضمن السور على ما يُمليه عليه أمينُ الوحي جبريلُ عليه السلام، ولم يكن ينتظر تمام القرآن حتى يُرتّب هذه الآيات و السور، وهنا يظهر العجب، إذ لو كان هذا القرآن من تأليف هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم، لاستحال عليه أن يُنظّم هذه الآيات دون تخطيط مُسبق، ودون أن تكون مجموعةً بين يديه قبل هذا الترتيب المحكم ؟⁽²⁾. (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 149-150)

* ولقد ختم الشيخ عبد الله دراز رحمه الله كتابه هذا بنموذج عملي لإعجاز القرآن من خلال أطول سورة منه و هي البقرة. وسيأتي في المحور الثاني شيء من نظراته في ذلك نموذجا عمليا. ويقول الباحث رشيد الحمداوي في خصوص إعجاز الوحدة الموضوعية لسورة البقرة: " ومن مظاهر الإعجاز التي نلمحها فيها أن اختلاف أسباب نزول آياتها، وتباعد أوقات تنزيلها كان أدعى إلى تفكك أجزائها و تداعي بنائها، و مع ذلك تجدها متصلة الوشائج، متينة النسيج، متنوعة المشاهد، متحدة المقاصد، متألّفة البدايات والنهايات: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (النساء:83). (الحمداوي، 1428هـ، صفحة 148)

1 النسيب: رقيقُ الشَّعر في النساء . (منظور، د ت، صفحة 4406).

2 وقد ضرب مثلا على ذلك بأطول سورة في القرآن وهي البقرة. (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 163-211)

ومن العجيب أيضا الذي يدل على إعجاز القرآن بالنظر إلى الوحدة الموضوعية لسور القرآن ذلك التعانق والانسجام بين الآيات المكية والمدنية في كثير من السور، دون أن يؤثر ذلك في الغرض العام الذي تتضمنه كل سورة ، فتشعر أنّ السورة كلها نزلت في مكان واحد، فلا تدري أنها مكية أو مدنية إلا حين تطالعك كتب التفسير على ذلك. (الحمد داوي، 1428هـ، صفحة 152)

2- الوحدة الموضوعية لسورة البقرة- نظرات لعبد الله دراز

أولاً: التعريف بالأستاذ عبد الله دراز

ولد المؤلف رحمه الله عام 1894م بمصر، و له إلمام بالتفسير وعلوم اللغة. سافر إلى فرنسا فكتب رسالتين عن " التعريف بالقرآن " و عن " الأخلاق في القرآن " نال بهما دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة الشرف الممتازة في عام 1947 . واختير ممثلاً لمصر في عدة مؤتمرات دولية وعلمية ، و في يناير 1958 ألقى بحثاً عن " موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها " في المؤتمر الإسلامي بباكستان ، فوفاه الأجل في أثناء انعقاد المؤتمر . (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 6)

ثانياً: نظرات في إعجاز الوحدة الموضوعية للسورة لعبد الله دراز

اختار الأستاذ دراز سورة البقرة نموذجاً لإثبات إعجاز القرآن بالنظر إلى الوحدة الموضوعية للسورة، و ذلك لأنها أطول سورة في القرآن، وأكثر نجومًا، فمن آياتها ما نزل في أوائل السنة الهجرية، و منها ما نزل في آخر السنة العاشرة، و لهذا كثرت موضوعاتها و تشعبت أحكامها، و مع ذلك أثبت الترابط بين أجزائها، و العلائق القوية التي تجعل منها بنية واحدة تتكون من مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة.

المقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.
المقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق.

المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين.

المقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

الخاتمة: في التعريف للذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يُرجى لهم

في آجلهم و عاجلهم. (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 163)

وقد بذل الأستاذ دراز جهدا كبيرا في بيان سير الآيات وفق حلقات متسلسلة تُحقق المقاصد التي حددها للسورة، وتُظهر نظامها المعنوي في جملتها، وكيف تتجاوب المقدمة مع الخاتمة حتى تكون سورة حقا، أي بنية محبوكة مُسوّرة. ولعل دراز بهذا يكون - كما قال الشيخ محمد الغزالي - أول من سنّ التفسير الإجمالي الذي يلحظ وحدة أجزاء السورة.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا نقف على مظهرين من المظاهر الفنية لهذه الوحدة.

المظهر الأول - فيها هو يتحدّث عن موضوع جزئي من مقصد عرض شرائع الدين، وهو شريعة الجهاد في قوله تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم} (البقرة: 244). يورد إشكالا: كيف يُفتتح شأن الجهاد بشأن الصلاة، وعدة الوفاة، لا بالجهاد ذاته؟ وهو يريد بذلك الآيات السابقة المجاورة، أي قوله تعالى في الصلاة: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين. فإن خفتهم فرجالا أو ركبانا} (الآيتان: 238، 239). وقوله تعالى في المتوفى عنها زوجها: {والذين يُتوفون منكم و يذرون أزواجا وصيةً لأزواجهنّ متاعا إلى الحول غير إخراج} (240). وما يتبعها من الآيات إلى قوله تعالى: { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس} (243).

و يجيب الأستاذ دراز بأنه لا إشكال في ذلك، وأنّ ذلك جاء ليحل ما قد يثيره أمر الجهاد قبل أن يُوجّه الأمر الصريح بالقتال للمسلمين.

فأول هذه المشاكل مشكلة الصلاة في الحرب: ألا يكون الجهاد سبباً في إسقاط هذا الواجب أو تأجيله؟ فيجيب القرآن بأنه لا رخصة في ذلك: { حافظوا على الصلوات }. وإنما الرخصة في التخفيف في هيئتها: { فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا }.

يقول دراز: " والصلاة كما نعلم قوة معنوية على العدو، و عُدّة من عُدّد النصر ". (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 205-206)

أما في الحديث عن المتوفى عنها زوجها، فتقدّمه عن شأن الجهاد مناسب أيضاً، وهكذا قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، يقول الأستاذ دراز مبيناً ذلك كله: " والجندي في الحرب تشغله على الأقل مخافتان: مخافة على نفسه وعلى المجاهدين معه، من أخطار الموت أو الهزيمة، ومخافة على أهله من الضياع والعيلة لو قُتل، لذلك انساق البيان الكريم يطرّد عن قلبه تلك المخافتين؛ أما أهله فقد وصى الله للزوجة إذا مات زوجها بأن تُمتّع حولاً كاملاً في بيته، وكذلك مطلّته سيتقرر لها حقّ في المتعة لا يُنسى، فليقرّ عيّنًا من هذه الناحية. وأما خوف الموت فليعلم أنّ الذي يطلب الموت

قد توهّب له الحياة: { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم }. وأما خوف الهزيمة، فإن النصر بيد الله: { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله } وتلك سنة الله في المرسلين ". (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 206)

ثم يخلص دراز إلى الانسجام بين آية الجهاد وما سبقها من أحكام الصلاة وأحوال الأسرة ضمن دائرة مقصد عرض شرائع الدين بقوله: " هكذا أبعدت المخاوف كلّها عن قلوب المجاهدين، بعد أن زوّدت أرواحهم ب زاد التقوى، و هكذا أصبحوا على استعداد نفسي كامل لتلقي الأوامر العليا، فليصدر الأمر إليهم صريحاً بالجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، و لتُفصل لهم العبر التاريخية التي تُثبت أقدامهم حين البأس والتي تزيدهم أملاً في النصر " ⁽¹⁾. (دراز، 1405هـ - 1985م، الصفحات 206-207)

1 و مقصوده من العبر التاريخية الآيات الآتية بعد الأمر بالجهاد من قصة طالوت و جالوت: { ألم تر إلى الذين خرجوا من بني إسرائيل من بعد موسى } (البقرة: 246) إلى قوله تعالى: { ولكن أكثر الناس لا يشكرون } (البقرة: 251).

المظهر الثاني: و يتعلق أيضا بالمقصد الثالث - أي في عرض شرائع هذا الدين، فحينما تحدّث دراز عن أحكام الطلاق و آثاره، وما يتبع ذلك من عدة، و رجعة، و رضاع، و استرضاع، و خطبة، و مُتعة للمطلقات، و غير ذلك⁽¹⁾. يورد سؤالاً: كيف انتقل الكلام مباشرة من أحوال الأسرة إلى قوله تعالى: { حافظو على الصلوات والصلاة الوسطى ... } (البقرة: 238). يقول دراز: " نقله شبه خاطفة، بل لفظة جد مباغثة، قد يحسبها الناظر اقتضاباً، وما هي باقتضاب إلا في حكم النظر السطحي". (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 203)

ثم يعلل الأستاذ دراز ذلك بأن الذي ينظر إلى سياق الآيات و يستحضر هذا المقصد الذين شدّت إليه جميع الآيات التي تستعرض التشريعات العملية لهذا الدين، فإنه سيمتدّي إلى سرّ هذا الانتقال، إلى المحافظة على الصلوات مهما كانت الأحوال، وذلك أنّ الآيات السابقة لذكر الصلاة خُتِمت بقوله تعالى: { وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير }. يقول دراز: " فهذه لو تدبّرت مَعْبَرَةً ذهبية وُضعت في وقت الحاجة إليها، بعد إن استطال الحديث في تفصيل الحقوق و الواجبات المنزلية، مَعْبَرَةً جيء بها لتنقلنا من ضوضاء المحاسبة والمخاصمة، إلى سكون المُسامحة و المكارمة، فكانت معراجاً وسطاً صعد بنا إلى أفق أعلى، تمهيداً للعروج بنا إلى الأفق الأعلى". (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 203)

ثم يبيّن سرّ هذا الانتقال ووجه الارتباط بين أحكام الأسرة السابقة و أمر الله تعالى المحافظة على الصلاة بكلام جميل فيقول: " فقال لنا وهو يطوئها⁽²⁾: دَعُوا المُشَادَّةَ في هذه الأمور الجزئية الصغرى؛ سَوِّوها فيما بينكم بقانون العدل والفضل، الذي هو أسمى من قانون الحق والعدل، وحوّلوا أبصاركم معي إلى الشؤون الكلية الكبرى، التي هي أحق بأن يتوفر عليها العزم والقصد، وأحرى أن يشغل بها العقل والقلب ... لقد كفّاكم هذا حديثاً عن حقوق الزوج والولد،

1 هذه الأحكام المذكورة في الآيات من سورة البقرة، من: { وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم } (226) إلى قوله تعالى: { ولا تنسوا الفضل بينكم } الآية (237).

2 يقصد بذلك ما سبق من أحكام الأسرة. وذلك في قوله تعالى: { الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ... } (196) إلى قوله تعالى: { واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ... } (203).

فاستمعوا الآن إلى الحديث عن حقوق الله والوطن: حافظوا على الصلوات، أنفقوا في سبيل الله،
جاهدوا في سبيل الله". (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 203)

المظهر الثالث: وقد اعتنى الأستاذ دراز ببيان الوحدة الموضوعية حتى في مقصد جزئي لها،
فعلى سبيل المثال يشير إلى السر في قطع الحديث عن الحج - وهو مقصد جزئي أو شريعة من
الشرائع الدينية- فقد بدأ الحديث عن الحج في قوله تعالى: { بسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت
للناس و الحج ..} (البقرة: 189)، ثم فصل بين مجرد ذكر اسمه في الآية السابقة وبين التفصيل
في أحكامه بست آيات (190 - 195). ولنترك الأستاذ دراز يذكر مناسبة هذا الفاصل وعدم
إخلاله بموضوع الحج. يقول رحمه الله: " فاصلةٌ يحسبها الجاهل رقعةً غريبةً في ثوب المعنى
الجديد، ولكن الذي يعرف تاريخ الإسلام و أسباب نزول القرآن، يعرف ما لهذه الفاصلة من
شرف الموقع و إصابة المحرّ ". (دراز، 1405هـ - 1985م، صفحة 198) ثم ذكر أنّ المسلمين،
أحصروا عن البيت الحرام من المشركين في غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، فهَمُّوا
أن يبطشوا بهم لولا أنّ الله منعهم أن يبدؤوا القتال بالبيت الحرام إلا من قاتلهم ، فانصرفوا ولم
يحجوا ذلك العام .

فيذكر دراز المناسبة بين هذا الانصراف، وبين انصراف الحديث عن الحج في الآية السابقة
وتخلل الآيات الست بينه وبين ذكر تفاصيله، بقوله: " فكذلك فلينصرف القارئ أو المستمع ها
هنا و هو متعطش لإتمام حديث الحج، على أن يعود إليه بعد فاصل. كما انصرف المسلمون إذ
ذاك عن مكة و هم إليها متعطشون، على أن يعودوا إليها من عام قابل " (دراز، 1405هـ - 1985م،
صفحة 198). ثم يخلص دراز إلى أن روعة نظم القرآن تنسجم مع حقائق الأمور، ولطائف
الهدايات والعبر التي لا تظهر إلا لمن تأمل هذا النظم البديع من أولي البصائر.

يقول رحمه الله : " هكذا كانت هذه الآيات الفاصل تذكارا خالدا لتلك الأحداث الأولى، وهكذا
كان القرآن الكريم مرآة صافية نطالع فيها صور الحقائق من كل لون، نقتبسها طورا من تصريح
تعبيره، و طورا من نهجه و أسلوبه في تعجيل البيان أو تأخيرها. ثم كانت هذه الآيات الفاصلة في
الوقت نفسه درسا عمليا في صبر المتعلم على أستاذه، لا يعجله بالسؤال عن أمر في أثناء
حديثه، و لكن يتلبث قليلا حتى يحدث له منه ذكرا في ساعته الموقوتة .. وهكذا لن يطول بنا

الانتظار حتى نرى أحكام الحج و العمرة تجيء في إثر ذلك على شوق و ظمأ". (دراز، 1405هـ -
1985م، الصفحات 198-199)

الخاتمة(نتائج البحث)

مما سبق من الدراسة يمكن الخلوصل إلى النتائج الآتية:

- 1 - لكل سورة قرآنية غرض رئيس تنبثق منه جميع موضوعاتها، وإنّ المتأمل في هذه الموضوعات يجد بينها تكاملا وتوافقا لا يخرج عن هذا الغرض الرئيس أو ما يسمى بالوحدة الموضوعية للسورة، فهذه الوحدة الموضوعية تذكر بوحدة الدين.
- 2 - إنّ في تحديد الوحدة الموضوعية للسورة فوائد منها ظهور المناسبات بين الآيات في ضوء هذه الوحدة الموضوعية، وكذا ربط فواتح السور بخواتمها.
- 3 - ظهور جهود معتبرة لدى المفسرين المعاصرين ساهمت في إبراز فكرة الوحدة الموضوعية للسور بشكل مفصّل لم يكن لدى المتقدمين، و ذلك بإفراد سور معينة و تفسيرها باستظهار الغرض الرئيس في آياتها كلها، و لعل عبد الله دراز من رواد هذه الفكرة.
- 4- إنّ تحديد الوحدة الموضوعية للسورة و الاستبصار بها في تفسير الآيات أمرٌ اجتهادي و يخضع لشروط التفسير بالرأي، لذا قد تختلف فيه أنظار المفسرين و لا يُسلّم لنتائجه دائما.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. ابن جرير الطبري. (1424هـ - 2003م). جامع البيان في تأويل أي القرآن (الإصدار 1، المجلد 7). القاهرة: دار هجر.
2. ابن منظور. (د ت). لسان العرب، مادة (نسب). القاهرة، مصر: دار المعارف.
3. برهان الدين البقاعي. (1408هـ - 1987م). مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (الإصدار 1، المجلد 1). الرياض: مكتبة المعارف.
4. رشيد الحمداوي. (1428هـ). وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دراستها. مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (3)، 164-165.

5. رفعت فوزي عبدالمطلب. (1982). الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية. رسالة التربية، 11.
6. رياض عميراوي. (2022م). الوحدة الموضوعية للسور القرآنية - دراسة نظرية/ أمثلة تطبيقية (الإصدار 1). قسنطينة - الجزائر: دار الرشد.
7. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. (1430هـ- 2009م). قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل (الإصدار 4). دمشق: دار القلم.
8. عبدالعزيز عبدالله الخضير. (1431هـ). الوحدة الموضوعية في سور القرآن. مجلة الجامعة الإسلامية، 43 (149)، 87-88. تم الاسترداد من <https://quranpedia.net/book/17161>
9. محمد الغزالي. (1420هـ- 2000م). نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم (الإصدار 4). القاهرة،: دار الشروق.
10. محمد عبد الله دراز. (1405هـ- 1985م). النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن. الدوحة، قطر: دار الثقافة.
11. محمد قطب. (1414هـ- 1993م). دراسات قرآنية (الإصدار 7). القاهرة: دار الشروق.

السيرة الذاتية

اللقب : خاتي

الاسم : كمال

المولود في : 1973/03/05 ب : تيزي وزو

الجنسية : جزائرية العنوان : مسجد الرحمة شارع أيت مولود - مدوحة - تيزي وزو

الوظيفة الحالية : إمام ممتاز بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف بتيزي وزو وأستاذ متعاقد بكلية العلوم الإسلامية- الجزائر 1

المؤهلات العلمية: - دكتوراه علوم، بجامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، تخصص:

الكتاب والسنة، بعنوان: " الدخيل في علم الإعجاز القرآني - دراسة تحليلية نقدية ". نوقشت بتاريخ: 2021/06/01. تقدير: مشرف جدا .

الوظائف المتقلّدة: - عشر سنوات في التعليم الثانوي بولاية تيزي وزو من سنة : 2004 إلى غاية : 2015.

- و بعدها إمام أستاذ رئيس بمديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لنفس الولاية إلى سنة 2021.

- و بتاريخ: 2021/07/01 عينت مفتشا للتوجيه الديني والتعليم القرآني إلى يومنا هذا . و بتاريخ: 2024/01/01 عينت إماما ممتازا إلى يومنا

هذا.